Journal of Imam Al-Kadhum College (Peace be upon him) مجلة كلية الإمام الكاظم (ع)
Volume (9) Issue(1) March 2025 – 2025 المجلد (9) العدد (1) آذار

المعرفة القرآنية واستقامة السلوك (دراسة قرآنية تحليلية)

الباحث الأول: م.م حيدر كريم عودة

الباحث الثاني: م.م محمد عبد الصاحب جابر

Quranic knowledge and integrity of behavior (an analytical Quranic study)

Assist.lecturer.M.Hayder Kareem Oudah and Assist.lecturer Mohammed Abdul Sahib Jaber- Imam Al-kadhim College(peace be upon him) for Islamic Sciences,Missan.

Abstract: The research intended to explain the importance of Quranic knowledge and its impact on straightforwardness of behavior by examining it from all aspects with the aim of exploring and identifying Quranic truths according to an inductive and analytical approach, as it is clear that the Holy Qur'an has paid a great attention to the issue of straightforwardness, whether it is on the rational level, or on the behavioral level, the latter one is our concern in this study. The Almighty God has mentioned many Qur'anic evidences and proofs for this, which contribute to achieving the highest levels of human perfection and existential levels, and this is what we will address in detail in the demands of this objective research by explaining the types of Qur'anic knowledge and their impact on straightforwardness behavior.

المستخلص

جاء البحث بصدد بيان أهمية المعرفة القرآنية وأثرها في استقامة السلوك، وذلك من خلال بحثها من جميع الجوانب بهدف استكشاف الحقائق القرآنية والتعرف عليها وفق منهجٍ استقرائي تحليلي، إذ نجد أن القرآن الكريم اهتم كثيراً بموضوع الاستقامة على المستويين الفكري والسلوكي، وما يهمنا هو تأثيرها على الجانب الثاني، فقد ذكر الحق تبارك وتعالى لذلك شواهد وأدلة قرآنية كثيرة بما يسهم في تحقيق أعلى درجات الكمال الإنساني ومراتبه الوجودية، هذا ما سنتناوله بشكل تفصيلي في مطالب هذا البحث الموضوعي من خلال بيان أنواع المعرفة القرآنية وأثرها في استقامة سلوكيات الفرد والمجتمع.

Article history
Received: 16 /12/2024
Accepted: 8/1/2025
Published : 31 /3/2025

تواريخ البحث
تاريخ الاستلام: 2024/12/16
تاريخ القبول: 2025/1/8
تاريخ النشر : 2025/3/31

الكلمات المفتاحية: المعرفة، القرآن، المعرفة القرآنية، الاستقامة، السلوك، استقامة السلوك

Keywords : knowledge, the Qur'an, Quranic knowledge, integrity, behavior, straightforwardness behavior

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author: Hayder Kareem Oudah
hayder.karem@iku.edu.iq

DOI:
https://doi.org/10.61710/169V9N1

المقدّمة:

يحتاج المجتمع في العصر الحاضر إلى تربية اجتماعية سليمة تسهم في تصحيح المسار السلوكي لأبنائه، وهذا يتطلّب تدريب كوادر بحيث تصبح لديها القدرة على تحقيق أهدافها، وتضمن سلامتها من خلال استشعارها لأهمية الإصلاح الاجتماعي المرجوة منها، بما يؤهلها لتوظيف الموارد والإمكانات داخل المجتمع بالتعاون مع القيادات والنخب الفاعلة والنشطة في المجتمع؛ ولذا كان لآل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) القدرة على تنمية النخب والقيادات الفاعلة في المجتمع، من خلال تعليمهم وتربيتهم على أكمل وجه في مختلف مجالاتها الاجتماعية؛ لأنّ الغاية منها القيام بإصلاح شؤون المجتمع أفراداً وجماعات من خلال العمل على إصلاح السلوك الفردي والاجتماعي بما يحقّق السعادة الكبرى في الدارين، كي ينعم الجميع بالأمن والاستقرار والسلام وبما يحقّق أهدافهم في الحياة، والعيش بكرامة وحياة طيبة، نتيجة عملية التغيير والاصلاح لأحوالهم الفردية والاجتماعية الدينية والدنيوية بما يؤّمن معاشهم ومعادهم.

المبحث الأول: التعريف بمفردات الموضوع

المقصد الأول: المعرفة لغة واصطلاحًا:

المعرفة لغة : هي العلم، مأخوذة من الفعل عرف، فعينه يدل على التتابع، والراء يدل على الطمأنينة والسكون، ولذا يقال: عرف فلان فلاناً، وهذا أمر معروف، وهذه معرفة، بحيث يسكن إليه؛ لأن إنكار الشيء يعني التوحش منه" (ابن فارس، 1404هـ، صفحة 281). وذكر ابن منظور أن العرفان هو العلم، ونقل عن ابن سيدة أنه قال ينفصلان تحديد لا يلي بهذا المكان، عرّفه يعني يعرفه، ويقال: عرفة، وعرفاناً، ومعرفة، واعترافاً. (ينظر: ابن منظور، 1414هـ، صفحة 236).

أما اصطلاحاً؛ فالمعرفة إدراك الشيء بخلاف العلم؛ لأنّها مسبوقة بجهل؛ لذا لا يقال لله عارفًا (التهانوي، 1996م، صفحة 1039)، *وقيل هي مجموعة العمليات العقلية غايتها الفهم من الادراك* والتفكر والتعلم وإصدار الأحكام نتيجة التفاعل بين الفرد والبيئة، أو إنّها الطرق والوسائل التي تستخدم لاستكشاف السلوكيات التي يمكن اتباعها بهدف تحقيق التقدم والتطور، أو هي النتاج الأخير عن البيانات والمعلومات والمهارات المعرفية، أو بما يدعى بالتركيب والتقديم والتحليل. (الجرجاني، ب.تا، الصفحات 232–233).

المطلب الثاني: القرآن لغة واصطلاحًا:

القرآن لغة؛ مرادف للمصدر (قراءة)، وفيه قال تعالى: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ"(القيامة/17)، ثم أطلق على ما نزل على النبي الخاتم محمد(صلى الله عليه وآله) فقيل له قرآن، من باب إطلاق المصدر على مفعوله (الزرقاني، ب.تا، صفحة 14)، ولفظ القرآن هو اشتقاق لمادة فعل (قرأ)، والعرب كانت تقول: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط" (ينظر: ابن منظور، 1414هـ، صفحة 105) ، وقال الله سبحانه وتعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ"(النحل/ 98) ، أي قمت بترتيل بعض من آياته لتعطي أثراً على بعضها لتجتمع وتتآلف بالمعنى.

وأما القرآن اصطلاحاً؛ لعل أفضل تعريفٍ لـ (القرآن الكريم) أن يقال له: "كلام الله المنزل على صدر نبينا الخاتم محمد(صلى الله عليه وآله) المتعبد بتلاوته" (دراز، 2005، صفحة 43)، أو هو الكلام المعجز بألفاظه المبتدأ بـ (سورة الفاتحة) والمنتهي بـ (سورة الناس) المنقول بالتواتر عن طريق النبي(صلى الله عليه وآله) (الرومي، 2003، الصفحات 21-22).

فقوله في التعريف الأول "كلام الله" قيد احترازي لئلا يصدق على كلام المخلوقين من الملائكة والإنس والجن، بل هو كلام منزّل وموحى من قبل الله تعالى إلى ملائكته لكي يعملوا به ويعملوا على أساس ما جاء به، كما هو شأن قسم منه، والقسم الآخر موحى للنبي مباشرة، ليكون هدى ورحمة للعالمين، قال عنه الحق تبارك وتعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" (الكهف/109)، وقال عزّ وجلّ: "ولو أنما في الأرض من شجر أقلام والبحر يمده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله"(لقمان/27). وقيل في سبب تسميته بالقرآن؛ بأنه لفظ مشتق، غير مهموز لاسم علم، أطلق عليه كما يطلق على كتاب الله بالتوراة، والإنجيل، فهذه جميعها على الصحيح ألفاظ مشتقة (الأزهري، 2001، صفحة 209).

وعليه فلفظ (القرآن) هو أول اسم تمّ إطلاقه على كتاب الله تعالى، وهو الأشهر على الإطلاق، وأهم معانيه هو الحمل والتفهم والتدبّر والتعبد والتنسّك، قال تعالى في كتابه الحكيم: "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا"(المزمل/5) ، أي: بمعنى التحمّل، والمقصود تحمّل الكتاب المنزل.

المطلب الثالث: الاستقامة لغة واصطلاحاً:

الاستقامة لغة: مصدرُ فعلِ (استقام)، ومعناه انتصب واعتدل. "والاستقامة, يقال في الطريق الذي على خط مستو" (الاصفهاني، 1412هـ صفحة 418)؛ والاستقامة ضد الاعوجاج والالتواء. ويقال استقام له الأمر، إذا انتظم وسار على نحو معتدل مستقر. ويوصف الشيء بأنّه قائم ومُقام. ويقال: هذا أقوم، أي أكثر استقامة (الطبري، 1422هـ، صفحة 113)، وجاءت بمعنى الأقوم؛ هذا ما جاء في تفسيرها للآية: "لكان خيراً لهم وأقوم"(النساء/ 46) بمعنى الاستقامة. (الطبري، 1422هـ، صفحة 114).

وأمّا الاستقامة اصطلاحاً: فهو مطابق لمعناها اللغوي، غير أنّه مستعمل بكثرة في الصفات المعنوية والخُلقية. وأول استقامة في الشرع، هي استقامة الدين ومنهجه وطريقه، التي جاءت بمعنى "الصراط المستقيم"؛ كما في قوله تبارك وتعالى: "اهدنا الصراط المستقيم" (الفاتحة/ 6)، أي: طريق لا اعوجاج فيه؛ لشدة وضوحه واستقامته. (الطبري، 1422هـ، صفحة 114)؛ ولذا يقال: إنسان مستقيم، بالتزامه المنهج المستقيم بتطابق صفاته له. (الاصفهاني، 1412هـ صفحة 419).

المطلب الرابع: السلوك لغة واصطلاحًا:

السلوك في اللغة: مشتق من الفعل سلك، فيقال سلك يده داخل الجيب، أي: أدخلها فيه، وسلك الطريق، أي: ذهب فيه، ويقال للطريق مسلك، ولسيرة الإنسان واتجاهه ومذهب، سلوك، فيقال فلان حسن السلوك إذا كان حسن السيرة. (ينظر: ابن منظور، 1414هـ، صفحة 442) (الرازي، 1420هـ، صفحة 152)؛.

وأمّا اصطلاحاً: فيقصد به ما يكون راسخاً في النفس، وموجبًا للمروءة والتقوى التي تجنبها الكبائر المنهي عنها في الظاهر والباطن؛ إذ المروءة تضبطها الآداب النفسية التي تهيؤ صاحبها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرذائل. (الصنعاني، 1417هـ الصفحات 114-118)، فالسلوك الحسن يتأتى من الاستقامة في الدين والسيرة، ويرجع في حاصله إلى ما ذكرناه سابقاً من ملاءمة المروءة والتقوى (الغزالي، 1993م، صفحة 125) ، والسلوك هو "حَدَّها الأصحابُ: بأنَّها مَلَكَةٌ، أي: هَيئَةٌ راسِخَةٌ في النَّفسِ تَمنَعُ مِنِ اقتِرافِ كَبيرةٍ أو صَغيرةٍ دالَّةٍ عَلى الخِسَّةِ أو مُباحٍ يُخِلُّ بالمُروءةِ، وهَذِه أحسَنُ عِبارةٍ في حَدها" (السيوطي، 1403هـ صفحة 384).

المبحث الثاني: أنواع المعرفة القرآنية:

ينبغي الالتفات إلى أنّ المعرفة القرآنية وأنواعها تعتمد على تبيان الحقائق بطرق وأساليب عدّة، فقد ذكر الراغب الأصفهاني أنّ البيان أعمّ من النطق، لأنّ الأخير مختص باللسان، بخلاف البيان الذي هو على ضربين: أحدهما بالحال، والآخر الإخبار، فالأول يعبر عن الأشياء الدالة على حال ما من آثار الصفات، من قبيل قوله تعالى: "إنه لكم عدو مبين"(البقرة/ 168)، بينما الثاني فهو يعبر عن الإخبار بالنطق، أو بالكتابة، من قبيل ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: "فاسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون". (النحل/43)، وقوله تعالى: "بالبينات والزبر"(آل عمران/ 184)، وإنما قيل للكلام بياناً لأنّه يكشف عن مقصوده وإظهاره، قال تعالى: "هذا بيان للناس"، وما يشرح به المبهم والمجمل من الكلام يسمّى بياناً (الاصفهاني، 1412هـ صفحة 112)، لقوله تعالى: "ثمّ إن علينا بيانه"(القيامة/ 19).

 ISSN (Print):2518-9182 ISSN (Online) 2708-1761

وعليه فالتبيين يعدّ عملية اجتماعية هدفها الأساس حفظ حضور ووصول الحقيقة على اختلاف أبعادها إلى جميع الأفراد، والشرائح، والفئات، ويطلق عليها الإمام الخامنئي الحفاظ على سلسلة التواصي بالحق، فقد أوصى بأهمية التبيين للحقائق، لأنّ هناك حقائق لابدّ أن تبين جزءًا من أجزاء المواجهة للفئات والحركات المضللة من اتجاهات مختلفة ضد الشعب الإيراني، مؤثرة على الرأي العام، كهدف من أهدافهم الأعداء الكبيرة ضد الإسلام وإيران وثورته الإسلامية، مما يخلق حالة من الالتباس الفكري وبالأخص على ذهنية شبابنا، ولذا فإن حركة التبيين تحبط المخططات والمؤامرات الأعداء ضد الإسلام وثورتنا الإسلامية (ينظر:الخامنئي، 2021).

والمعارف القرآنية تستخدم التبيين لإعادة دينامية التواصل وحيويته. (قبيسي، 2009م، صفحة 1)، وعليه فإنّ وظيفة المعرفة القرآنية أشبه بوظيفة المنهج المتبع في تفسير القرآن في بيان الحقائق والدلالات القرآنية من كلام الحق سبحانه وتعالى، إذ إنّ وظيفة التفسير هي الكشف والبيان لمقاصد تلك الآيات الكريمة ودلالاتها الخاصة، هذا فيما إذا اشتق من (الفسر)، إذ يقال: "وفسره تفسيراً" (الفراهيدي، 1405هـ صفحة 62)، فعلم التفسير هو مصدر المعرفة القرآنية التي مسؤوليتها كشف الحقائق وإزالة الخفاء عن دلالات الآيات الكريمة، وموضوعها القرآن الكريم، ومسائلها ما ينتج من بيان واستظهار معاني الآيات، وغايتها معرفة مراد الحق تبارك وتعالى منها واستنباط الأحكام منها، كما إنّها تستند أيضاً إلى مصادر عدة، وهي:

1- أقوال الصحابة ورواياتهم؛ لأنّهم كانوا شهوداً حاضرين حال نزول الآيات، وبذلك مثّلوا مصدراً من مصادر المعرفة القرآنية المستندة إلى رواياتهم؛ لأن أسباب النزول لا تثبت إلا بالسماع والرواية من كان حاضراً وشاهداً لنزول الوحي، ووقف على أسباب نزوله، ولذا كان المعتمد من مروياتهم في ذلك ما كان مسنداً بسند صحيح، ولهذا ذكر الحاكم كما نقل عنه السيوطي في علوم الحديث، أنّ إخبار الصحابي عن سبب نزول آية من القرآن، لابدّ أن يكون عن حضور وشهود للوحي والتنزيل، إلا لما كان حديثه مسنداً (ينظر:الذهبي، 1398هـ، صفحة 71)، وهناك من وافقه من المتأخرين على ذلك من قبيل ابن الصلاح وغيره، وعليه فالأخذ بالتفسير الراوي مشروط بحضور ومشاهد الصحابي للوحي والتنزيل، أو كونه قد سأل النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) عن سبب نزولها فأجابه عن ذلك، حتى لا تكون روايته مستندة إلى رأيه أو اجتهاده.

2- أقوال التابعين ورواياتهم؛ وهم من لم يروا النبي (صلى الله عليه وآله) ولكنهم رأوا أصحابه ورووا عنهم، وعندئذ لا يكون قولهم وروايتهم حجة ما لم تستند إلى قول الصحابي أو روايته ممّن شاهد الوحي والتنزيل، أو سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عنه، فلا يقبل اجتهادهم في استنباط المعارف القرآنية إلّا إذا كانت روايتهم مسندة إلى مرسل آخر مرويًّا عن أحد أئمة التفسير الذين أخذوا عن أحد الصحابة بالشروط التي ذكرناها في قبول روايتهم، وهؤلاء الأئمة في التفسير في عصر

التابعين أمثال: عكرمة/ وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والحسن البصري، والضحاك، وسعيد بن المسيب. وعليه فلا ينبغي أن يختلق إفكاً ملقياً زمامه للجهالة؛ لما جاء من الوعيد والتحذير من ذلك، كما هو الحال في عصرنا الحاضر. (ينظر:القطان، 1420هـ، صفحة 77)، ممّا حدا بأن يقوم العلماء بوضع ضوابط لعملية النقل للمعرفة القرآنية عن التابعين في عملية تفسير القرآن بالمرويات والأحاديث المنقولة. (الطباطبائي، 2006م، صفحة 113)، من هذه القواعد والمعايير، هي:

أولاً: يجب على التابعي إسناد أثره أو روايته إلى أحد الصحابي على أن يكون بالشروط التي ذكرت.

ثانياً: أن لا يكون المأثور عنه مستنداً إلى رأيه واجتهاده؛ لئلا يكون مستندا لاتباع الهوى.

ثالثاً: إلزام التابعي بتعضيد روايته بمرسل عن تابعي آخر.

رابعاً: مراعاة صفتي الضبط والعدالة في الراوي تابعيا كان أم صحابياً.

خامساً: أن يكون المروي مستنداً للسماع أو الشهود، أي عن حس لا حدس.

3- أقوال تابع التابعيين ومروياتهم؛ وهذا ممّا لم يحظَ برؤية ومعاصرة الصحابي، بل عاصر وروى عنه من التابعين؛ وقد اشترط في قبول رواياته ما اشترط في قبول رواية التابعي مع اختلاف بينهما في سماع أو رؤية من روى عنه، فالأول اشترط فيه رؤية الصحابي، والثاني اشترط فيه رؤية التابعي، ولذلك قلنا تابع التابعي، فإذا ما تحقّقت هذه الشروط أمكن اعتبار روايته في التفسير، وعدّها من المصادر الأثرية والروائية في تحقيق المعرفة القرآنية، باعتبارها ذات قيمة علمية معتبرة، لأنّ بعض الروايات التفسيرية غير صادقة، أي معتبرة (ينظر:الفيض الكاشاني، 1416هـ، صفحة 833)، ومن الروايات التفسيرية ما روي عن عبدالله بن كيسان، عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر(عليه السلام)، في بيان تاريخ نزول أول آية على النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله)، إذ كانت الآية الأولى من سورة العلق، وهو ما نزل به جبرائيل به عليه؛ إذ قال له: " يا محمد اقرأ ، قل: ما أنا بقارئ! قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق..." ثم قال الإمام الباقر(عليه السلام): "أول ما نزل من القرآن "بسم الله الرحمن الرحيم والعلق أول سورة نزلت" (ينظر:القمي، 1404هـ، صفحة 332). وبذلك تكون الرواية التفسيرية عند الواحدي هي ما تؤدّي إلى بيان مضمون الآية بأي شكل من الأشكال (ينظر:الواحدي، 1992م، صفحة 12)، وعندئذ يكون الحديث التفسيري هو الناظر إلى بيان مقصود آية أو آيات ما، أو هو الناظر لبيان ضابطة عامة من ضوابط فهم القرآن. (ينظر:الفيض الكاشاني، 1416هـ، صفحة 833).

وعلى هذا الشرح يمكننا تقسيم المعرفة القرآنية على:

1- **السندية او الانتسابية:** في هذه المرحلة، نسعى لمعرفة مدى انتساب الكتاب إلى مؤلفه. فلنفترض أنّنا نريد معرفة ديوان حافظ الشيرازي أو خيّام. إن الخطوة الأولى أن نرى إن كان ما يطلق

عليه اسم ديوان حافظ كله من نظم حافظ، أو إنّ بعضه من نظمه، والآخر مضاف إليه. كذلك الأمر بشأن خيام وغيره.

2- **التحليلية؛** تقوم على أساس تحليل الكتاب محل الدراسة، أي دراسة ما يشتمل عليه الكتاب من مطالب، وما يقصد إليه من أهداف، ما نظرته إلى الكون؟ وإلى الإنسان؟ وإلى المجتمع؟ وما طريقة عرضه لتلك المطالب وأسلوب معالجته إياها؟ أينطوي على منظور فلسفي، أو كما نقول اليوم، أفيه منظور علمي؟ أينظر إلى الأمور بعين العارف (ينظر:الفيض الكاشاني، 1416هـ، صفحة 835).

3- **معرفة الأصل:** في هذه المرحلة، وبعد الاطمئنان إلى نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وبعد التحليل التام لمحتواه، علينا أن نبدأ البحث لنعرف إن كانت محتويات الكتاب ومطالبه من إبداعات فكر المؤلف نفسه، أم إنها مدينة إلى افكار الآخرين (الطباطبائي، 2006م، صفحة 203).

ويتفرّع على ما ذكر من الأنواع السابقة أنواع أخرى ثانوية من قبيل: المعارف الظاهرية الحسية، والمعارف العقلية، والمعارف القلبية الشهودية.

المبحث الثالث: المعرفة الظاهرية للقرآن في معالجة السلوك الإنساني

إن من مهام القرآن الكريم العمل على توجيه السلوك الفردي والاجتماعي ومعالجته، على أساس تقويم حياتهما، من خلال اجتناب أفعال الشر والترغيب على فعل الخير، وهذا واضح من ظاهر القرآن، ومن هذه الأمور التي دعا إليها القرآن الكريم:

1- الإيمان وخشية الله؛ هذا ما جاءت الإشارة إليه في قوله عزّ وجل: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر..."(النساء/ 59)، فالأمر الأول الذي أراد الله سبحانه وتعالى تغييره عند العرب هو موضوع العقيدة؛ ولذلك كان نزول الآيات بمكة ضمن المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية التي كان في أساسها الدعوة لتوحيد الله الحق، وقد استطاع القرآن بأسلوبه وألفاظه الجزلة الخالية من أي عيب من توضيح المعاني التي أرادها الله عز وجل في كتابه الحكيم (الموسوي، 1975م صفحة 118)، "وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في الشخصية، فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس والحياة والكون بأكمله" (نجاتي، 2001م، صفحة 280)، فعقيدة التوحيد ترفد الإنسان المؤمن بما يسهم في تحويل طاقته الداخلية إلى طاقة إيجابية؛ وهذا يسهم في إيصالها إلى شعور بالسلام والأمن النفسي. ومن هذا المنطلق تكون خشية الله مرادفة لمعاني الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهي أن يقوم الإنسان في وقاية نفسه من عذاب الله وغضبه، فلا يرتكب الذنوب والمعاصي التي تسوّلها له ورذائل شهوته، وهو بدوره يساعد المرء في الوصول لحالة من السلم والطمأنينة والأمن النفسي، وذلك بالالتزام بمنهج الله سبحانه وتعالى. يقول

نجاتي: "ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته وسيطرته على ميوله وأهوائه، فيقوم بإشباع دوافعه في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط، ولا يتضمّن مفهوم التقوى كبت الدوافع الفطرية، بل يتضمن فقط ضبطها والتحكم فيها وإشباعها في الحدود المسموح بها شرعاً" (نجاتي، 2001م، صفحة 282)، فإنّ مفهوم التقوى يتضمن أيضاً توخي الإنسان الحذر في الأفعال والأقوال والأمانة والصدق والعدل، لذا فإنّ: "التقوى بهذا المعنى تصبح طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن، ونحو نموّ الذات ورقيها، وتجنب السلوك السيء والمنحرف والشاذ، وهذا يتطلّب من الإنسان مجاهدة نفسه والتحكم في أهوائه وشهواته، فيصبح المسيطر عليها والموجّه لها، فالتقوى إذن من العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى نضوج الشخصية وتكاملها واتزانها، وتدفع بالإنسان إلى الارتقاء بذاته متطلعاً إلى بلوغ الكمال الإنساني" (نجاتي، 2001م، صفحة 283)، وكل هذه الأمور التي ذكرها الدكتور نجاتي تصب في صالح عملية الشعور بالسلام والسلامة، وكلها تدور في فلك الحصول على الأمن النفسي والطمأنينة الداخلية، قال سبحانه وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم" (الحديد/28)، فقد جاء في تفسيرها بأنّه تعالى: "أمر الذين آمنوا بالتقوى والايمان بالرسول مع أن الذين استجابوا الدعوة فآمنوا بالله آمنوا برسوله أيضا دليل على أن المراد بالإيمان بالرسول الاتباع التام والطاعة الكاملة لرسوله فيما يأمر به وينهى عنه سواء كان ما يأمر به أو ينهى عنه حكماً من الأحكام الشرعية أو صادراً عنه بما له من ولاية أمور الأمة، فهذا إيمان بعد إيمان ومرتبة فوق مرتبة الايمان الذي ربما يتخلف عنه أثره فلا يترتب عليه لضعفه". (الطباطبائي، 2006م، صفحة 174)، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم" (الأنفال/29): بأنّ: "الفرقان ما يفرق به بين الشيء والشيء، وهو في الآية بقرينة السياق وتفريعه على التقوى الفرقان بين الحق والباطل سواء أكان ذلك في الاعتقاد بالتفرقة بين الايمان والكفر وكل هدى وضلال أم في العمل بالتمييز بين الطاعة والمعصية وكل ما يرضى الله أو يسخطه، أو في الرأي والنظر بالفصل بين الصواب والخطأ فإنّ ذلك كله مما تثمره شجرة التقوى، وقد اطلق الفرقان في الآية ولم يقيده وقد عد جمل الخير والشر في الآيات السابقة والجميع يحتاج إلى الفرقان". (الطباطبائي، 2006م، صفحة 56)، وممّا يوجب الأمن ما جاء التأكيد في قوله عزَّ وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا"(الأحزاب/70-71).

2- الاقتداء بالأنبياء والصالحين: هو وسيلة من وسائل توجيه السلوك ومعالجته عند الفرد، فقد جعل الله سبحانه وتعالى المرسلين والأنبياء(عليهم السلام) قدوة للمؤمنين، وأمر عزّ وجلّ عباده بوجوب الاقتداء بالأنبياء والصالحين، قال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ"(الأنعام/ 90) ،

أي وجب على العبد الاقتداء بهم؛ لأنّه هو من أرسلهم قياماً للحق بالقول والفعل، والإنسان ليس من ضمن قدرته العيش من غير قدوة، والقدوة الكاملة لا تكون إلا بهم، يقول الطباطبائي: "عاد ثانياً إلى تعريفهم بما فيه تعريف الهدى الإلهي، فالهدى الإلهي لا يتخلف عن شأنه وأثره، وهو الايصال إلى المطلوب بهداهم وليس بهم؛ لأن شريعة الإسلام ناسخة لشرائهم السابقة عليها، وكتابه القرآن مهمين على كتبهم، وهذه الهداية والهدى في الآية المذكورة آنفًا لا واسطة فيها بين الله ومن يهديه. (الطباطبائي، 2006م، صفحة 260). وعليه يكون الاقتداء بالأنبياء والرسل (عليهم السلام) له تأثيره الكبير على تكوين العقل وتحسين التربية وصلاح المجتمع، يقول الإمام علي (عليه السلام) في وصف اقتدائه بالنبي العظيم (صلى الله عليه وآله): "وكنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمه يرفع لي كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به" (الموسوي ا.، 2004م، صفحة 157) ، وقد يسأل سائل ما الحاجة للقدوة؟ فنقول: فضلاً عمّا ذكرنا آنفاً من كون الاقتداء أمراً مرتكزاً في أعماق النفس الإنسانية، فإنّه يوجد حاجة ملحّة لوجود الأسوة بها، وذلك للدور الكبير الّذي تلعبه في طريق الوصول إلى الكمال المنشود للنفس الإنسانية وتزكيتها وتهذيبها.

3- شهادة الرسل (عليهم السلام) على العباد يوم الحساب: إنّ الإيمان بذلك يدعو الفرد للخروج من ظلمات الجهل والمعصية إلى نور الإيمان والمعرفة، ولذا لمّا سأل الحق تبارك وتعالى نبيه عيسى بن مريم(عليه السلام) عن ضلالة قومه، أجابه كما جاء في قوله تعالى: "ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به إن اعبدوا الله ربي وربّكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم.."(المائدة/ 117).

4- العزيمة على الخير: وهي الأخرى وسيلة من وسائل توجيه السلوك ومعالجته؛ إذ ممّا لا شك فيه أن الخير ولّاد، ومما لا ريب فيه أن آل بيت الرسول الكريم هم أصل الخير ودعاته، يقول الإمام الحسن بن علي(عليه السلام): "مَنْ زَعَمَ أَنَّ الله يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ – فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الله ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ والشَّرَّ إِلَيْه فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الله" (المازندراني، 1421هـ صفحة 15)، فإنّ الحق بيّنٌ، والباطل مثله، وكذلك الخير والشر، فلا يوجد شر في سبيل الله، ولا خير في سبيل الشيطان، والإنسان هو مادة جُبلت بالخير ودعت له، وهذا ما أكده الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في أحاديثهم ورواياتهم، فقد قال الإمام الحسن (عليه السلام): "الخير الذي لا شرّ فيه، الشكر مع النعمة، والصبر على النازلة" (الموسوي، 1975م صفحة 111)، وقال (عليه السلام) أيضاً: "(التذكير والانتفاع به، أسلم القلوب ما طهر من الشبهات). وقال أيضاً: (إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر)" (الموسوي، 1975م صفحة 123). فكل الأقوال السابقة تصب في إطار القرآن الكريم.

ISSN (Print):2518-9182 ISSN (Online) 2708-1761

المبحث الرابع: المعرفة العقلية للقرآن في معالجة السلوك الانساني

إنّ للمعرفة القرآنية العقلية أثرًا في معالجة السلوك الإنساني واستقامته، وذلك من خلال الاطلاع على العقائد التي تخص الدين، ومنها قضية الخَلق من العدم وما تحويه من عبر تسهم في معالجة سلوك الإنساني، وتوجيه نحو عمل الخير والتعقل في الأحكام، فإنّ إيجاد الخلق هو نعمة من نعم الله بحد ذاتها، فالوجود هو خير من العدم، ولا شك أنّ نعمة الوجود قد تبعتها نعم لا تعد ولا تحصى، تلك النعم التي منّ الله تعالى وتفضل بها على البشرية كافة، وقد اختص قسمٌ منها لعباده الصالحين، هو من جعل الإنسان بصيراً سميعاً عليماً عاقلاً، كما جاء ذلك في قوله تبارك وتعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (النحل/ 78)، فلو أردنا إحصاء نعم الله منذ بدء التكوين إلى يومنا هذا نجدها لما تمكنّا من إحصائها، ولكن تبقى قضية الخلق وخروجنا من كتم العدم إلى نور الوجود من أعظم النعم الإلهي التي منَّ الله بها علينا، ولم يقف عند هذه النعمة حتى أنزل علينا بركاته وأفاضل نعمه ومننه، فهو الخالق لكل شيء في السماوات وفي الأرض، قال عز وجل: "وخلق كل شيء" (الفرقان/ 59)، وقال سبحانه وتعالى: "بل أنتم بشر ممن خلق" (المائدة/ 18)، فالخلق له لا يشاركه فيه أحد، كما أن القدرة له، فهو القادر على كل شيء، كبيره وعظيمه وصغيره، كما جاء في قوله عزّ وجل: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" (لقمان/ 25)، وقال تعالى: "هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه" (لقمان/ 11).

ثم إنّ الله سبحانه وتعالى يفصّل في القرآن الكريم طريقة خلق الإنسان بما لا يترك مجالاً للشك، فهو أنزل قوله منذ قرون مضت والعلم حتى وقتنا هذا لم يصل إلى ما ذكره الله سابقاً، وكلّما أتوا بعلم وجدوا له دليلاً سابقاً في القرآن، فالقرآن جاء للبشر ليفهمهم ويهتدون بما فيه وتبقى الأسئلة الثلاثة في كل عقل هي الأساس، والتي أجاب الله عنها في آياته، وهذه الأسئلة هي من أين أتى الإنسان؟، ولماذا أتى؟ وما هو مصيره؟ والقرآن الكريم قد أفاض في الإجابة عن هذه الأسئلة هادفاً فيها إلى جعل الإنسان يتفكر بهذا الحلق بغية تقويم سلوكه وتوجيهه، فكيفية خلق الإنسان قد فصلها الله سبحانه وتعالى على ثلاث مراحل ، هي:

1- مرحلة قبل الخلق: لقد أخبر الله ملائكته بأنه سيجعل له في الأرض خلفًا، فأجابت الملائكة بسؤالها: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"(البقرة/30)، وربما كان ذلك لأنهم كانوا قد رأوا أشباه بشر وبشر وكانوا على علم بما يستطيعون فعله، وقولهم هذا انطلق من معرفتهم بأن خليفة الله لن يكون من جنسهم، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه يعلم ضمائر الأمور وخفاياها، وأن للأمر حكمة وتدبيراً ودلالة إلهية تخفى عليهم، وأشار إلى ذلك بقوله: "قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"(البقرة/ 31). فالله خص الآية الأولى لتبيان

أهمية السلوك القويم في تعاليم الدين، فإذا كانت الملائكة قد خافت من الفساد في الأرض، لذلك المطلع على الآيات يعرف من خلالها أهمية استقامة السلوك والثواب الآتي منه.

2- مرحلة أثناء الخلق: الله وحده هو العالم بكيفية الخلق والإيجاد ولم يطّلع عليها أحد غيره إلا بما شاء، وقد ذكر لنا من حيث الحساب أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، إلا أنه لم يبيّن لنا حقيقة اليوم عنده؛ لأنه قطعاً ليس كاليوم عندنا من حيث المدة التي يستغرقها بالساعات والدقائق والثواني، وبالأخص إن اليوم لم يخلق بعد قبل خلق السماوات والأرض، ولذا قال عنه تارة "كألف سنة مما تعدون"(الحج/47)، وأخرى قال عنه: "في يوم مقداره خمسين ألف سنة" (المعارج/4)، لا يمكن أن نجعل اليوم الالهي كاليوم عندنا، وأما بالنسبة لكيفية خلق بني آدم فقد جاء عنه أنّه خلق تارة من تراب، وأخرى من ماء مهين، وثالثة من طين لازب، ورابعة من حمأ مسنون، وخامسة من صلصال فخار، ونحوها. (ينظر: الفرقان/54، فاطر/11، الأنعام2، الصافات/11، الحجر/26)، كما أنّه أخبر عن تسويته بعد خلقه "الذي خلقك فسواك فعدلك" (الانفطار/7)، ولمّا اكتملت خلقته نفخ فيه من روحه، فبعث فيه الحياة، فصار يأكل ويشرب ويمسي ويصبح وينام ويستيقظ بفضلها، فكانت هي المسؤولة عن كل شيء فيه، ولهذا يسألون النبي (صلى الله عليه وآله) عن حقيقتها، كما جاء في قوله عزّ وجل: "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (الإسراء/ 85). والمتفكر في الآيات السابقة الدالة على خلق الكون يرى أنّ الله خلق الإنسان بفطرته على السلوك القويم فسواه جسماً وأعدّ له عقلًا ليرى الخير والشر ويختار مسلك الخير.

3- مرحلة بعد الخلق: وهذه المرحلة تتألف من ثلاث مراحل أيضاً، المرحلة الأولى منه أعطى الله سبحانه وتعالى المزيد من التكريم لآدم، وقام بتعليمه الأسماء الموجودة لكل الكائنات، ومن ثم قام بدعوة الملائكة للسجود لآدم فهو سيكون خليفة الله في الأرض، وفي المرحلة الثانية زوّج آدم لحواء في الجنة وخلقها الله من نفسه وقام بأمرهما بالسكن في الجنة، ثم أمرهما ألا يأكلا من نوع محدد وشجرة معينة، ولكن الشيطان قد وسوس لهما بمجرد أكلهما هذه الثمرة أصبحا عاريين وشاهد عورتيهما، ولهذا يحذر الله تعالى الإنسان من فتنة الشيطان: "يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما" (الأعراف/ 27)، وفيها أنهما كانا يلبسان ثياباً في الجنة وليسا بعاريين كما ذكر بعض المفسرين، أما المرحلة الثالثة فهي وجود آدم وأبنائه على الأرض وهنا يبدأ الخلق بمنحى جديد تماماً، فبعد مرحلة خلق الإنسان من الطين والصلصال، يصبح خلق الإنسان نتيجة التوالد والتزاوج، كما هو الحال عند الكائنات الأخرى، ويكون الخلق من المني ...، ليصبح في رحم المرأة نطفة، ومن ثم علقة، ومن ثم مضغة، فعظام، فلحم يكسو العظام، حتى يصبح جنيناً كاملاً، وهنا لا بد أن نذكر أنّ كل جزء من هذه المراحل، هو مرحلة لوحده وخلق جديد، فيكون المولود ذكراً أو أنثى، كما قال تبارك وتعالى: "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم

ISSN (Print):2518-9182 ISSN (Online) 2708-1761

تذكرون"(الذاريات/49)، وقال تعالى: "وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى" (طه/53)، وعندما أراد الله عز وجل أن يفني قوم نوح ويهلكهم في معصيتهم أمره سبحانه وتعالى أن يصنع سفينة ويضع فيها زوجين من كل خلقه وذلك لتبدأ عملية الخلق من جديد بطهارة ورحمة، قال الله عزّ وجل: "قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين"(هود/41)، والمتبحر في الآيات السابقة يرى أن الله تعالى نبّه إلى استقامة السلوك والبعد عن الفتنة التي وقع فيها حتى الأنبياء، وطلب الله من عبده الاستقامة والتفكر بالقصص السابقة للوصول للمنهج القويم، وقد خلق الله الإنسان بصورته الحالية والقرآن في آياته يذكر أنّ الإنسان قد حظي على مزايا كثيرة من حيث الشكل والمكانة والفضل الإلهي، فمن حيث الشكل قال تبارك وتعالى: "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ"(الانفطار/ 7–8) ، وقال عزّ وجل: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ "(التغابن/3) ، وقال تعالى في قمة وصفه للإنسان وشكله: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"(التين/4) ، وغيرها من النصوص القرآنية التي نزلت بصدد التحدث عن حسن خلق الله للإنسان في شكله، أما موضوع المكانة فأهميته تكمن من قبل خلقه عندما أخبر ملائكته بأنّه سيجعل له خليفة في الأرض، فما المكانة الأكثر عظمة من هذا لتكون خليفة الخالق في حكم الأرض؟ وقد قال الله تعالى واصفاً المكانة التي أعطاها لخليفته بالأرض: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "(البقرة/ 30–32). واستقامة الشكل يتأتى بها استقامة السلوك، فلا ظاهر لمستقيم إذا كان باطنه منحرفاً.

المبحث الخامس: المعرفة الشهودية القلبية للقرآن في معالجة السلوك الإنساني

إنّ المعرفة الشهودية، أو ما يطلق عليها بالمعرفة القلبية، تعمل على منح النفس القوة والاقتدار على فعل ما يمكن فعله بالطرق الاعتيادية في مجاليها السلبي والإيجابي، إذ إنّ قوى النفس تارة تؤدي إلى آثار سلبية، من قوة الشهوية الحيوانية الغريزية، وأخرى تؤدي إلى آثار إيجابية كالقوى الموجبة للتقوى والمروءة، وقد جاء ذكر بعض هذه القوى الحسية الخارجية والنفسية الداخلية في الذكر الحكيم، ومنها ما جاء في حكاية عن قوم بلقيس؛ إذ قال عنهم: "قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين"(النمل/ 33)، ولما كان من لوازم القوة أن قدرة صاحبها على عمل ما يريده أشد من المعتاد، والأعمال عليه أيسر، جاز إطلاقها على كل ما يذلّل المصاعب ويحول دونها، كاستعمال السلاح والعتاد، والمال والجاه والمنصب، من باب الكناية، قال تعالى: "كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب" (الأنفال/ 52)؛ لأنّ

القوة يكتنفها الاقتدار على الفعل والقدرة عليه؛ ولذا وصف بها الحق تبارك وتعالى، كما في الآية آنفة الذكر؛ إذ عبرت عنه بـــ (القوي)، أي: الكامل المقتدر، وقال سبحانه وتعالى: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً"(مريم/ 12)، فقد عبّر عن العزم والحزم في العمل بالقوة، أي العمل بما جاء في الألواح (الكتاب)، بمعنى الجد والحزم والحرص على ذلك دون أدنى تأخير، أو تساهل، لو لزم ذلك المشقة، كن قوياً حتى لا يستعصي عليه شيء مما تريد عمله، ومن خلال هذه الطريقة من المعرفة يمكننا تمييز الأمور التي تتداخل في مفاهيمها، والتي تساهم معرفتها بتوجيه السلوك وتهذيب النفس، فمثلاً يمكننا معرفة أنّ الغضب له أثر في توجيه السلوك، ولكن ليس أي غضب، إذ منه مذموم ومنه ممدوح، وهنا عن طريق هذا الأمر وعن طريق الكناية والإحساس يمكننا توجيه المعرفة إلى أنّ الغضب أنواع، منها الغضب المذموم، وهو الذي نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله)، ونهى عنه الأئمة الأطهار(عليهم السلام) في أحاديثهم، فالغضب يسلب العقل والدين فلا يبقى معه فكر ولا اختيار (ابن قدامة، 1978م، صفحة 232)، ولكن ليس كل غضب مذموم، بل الغضب لله محمود لا مذموم، وذلك عندما تنتهك الحرمات المقدسة، كما أن الغضب على أعداء الله والإنسانية من الكفار والمنافقين والمنحرفين والظلمة المتجبرين والطغاة الفاسدين، من مظاهر الغضب الممدوح، كما جاء الحثّ على ذلك في الأحاديث الشريفة، والآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى: "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم بئس المصير" (التوبة / 73). وعن طريق معرفة التمييز بين نوعي الغضب يساهم المرء في توجيه سلوكه وتهذيبها، بحيث تصبح أفعاله الناتجة عنها صادقة لوجه الله.

وعليه فإنّ الفقهاء والعلماء اتفقوا على وجود مصطلح يدعى بالقوة الغضبية، ولهذه القوة أثر في النفس، إذ يستطيع المرء معرفة ملكاتها، وبذلك يتمكن من تقويم سلوكياته ومعالجتها تبعاً لأفعالها، فالقوة الغضبية هي "التي تنبعث على تحريك- يدفع به الشيء المتخيل ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتنجذب الأوتار والعضلات- والرابطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ أو ترخيها أو تمدها طولًا فيصير الأوتار والرابطات إلى خلاف جهة المبدأ" (الشيرازي، 1987م، صفحة 55).

وتُعدّ القوة الغضبية هي القوة الجامعة، كما يقول النراقي بإنها: "موجبة لصدور أفعال السباع من الغضب و البغضاء والتوثب على الناس بأنواع الأذى" (النراقي، 1795م، صفحة 61) ، وقال الراغب الاصفهاني: "فهي التي تبعث نحو دفع الضرر والدفاع عن النفس عند مواجهة الخطر بكل أنواعه" (الاصفهاني، 1412هـ صفحة 10).

وعليه نستطيع القول بأنّه عن طريق المعرفة الباطنية القلبية بأنّ القوة الغضبية لا ينطوي في داخلها السيء فحسب، بل لها فوائد عديدة، فقد تصور بعض الناس أن قتل غريزة الغضب بالكامل وإخماد أنفاسها يعد من الكمالات والمعارج النفسية، وهم بذلك يرتكبون خطيئة عظيمة، فإنّ هذه

الغريزة من النعم الإلهية العظيمة التي ينبغي حفظها وشكر الباري عليها، إن التفريط والنقص من حال الاعتدال يعد من مثالب الأخلاق المذمومة ومن نقائص الكمالات التي ترتب عليها الكثير من المفاسد والعيوب، ولكن إيقاظ هذه الغريزة واجبة، فهي في البعض خامدة منكمشة، كالنار تحت الرماد، فالواجب على من يلحظ في نفسه حال الخمول والضعف وانعدام الغيرة أن يعالج الحالة بضدها ويخرج نفسه مما هي فيه إلى حال من الاعتدال، وهناك معالجات علمية وعملية لإيقاظها و تحريكها: مثل الإقدام على الأمور العظيمة المخيفة، والذهاب إلى ميادين الحرب، والجهاد ضد أعداء الله. ومعرفة هذا الأمر يشكل المحرك الأول في توجيه سلوك الأفراد.

ثم إنّ المعرفة الشهودية القلبية وطريقتها في تهذيب السلوك لا ينحصر في القوة الغضبية، بل بسائر قوى النفس، فإن الإنسان في قواه مقسوم إلى علن وأسرار، ولكل من هذا العلن والسر لذات وآلام ومنجيات ومهلكات، وللأخلاق الدور المهم في تشكيل النفس البشرية، وكل هذا يدور في فلك قاعدة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" التي جاء تأكيدها في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وحثّ عليها النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) في العديد من الأحاديث النبوية التي شكّلت الأساس في مجابهة الانحراف عن الحق، سواء أكان هذا الانحراف لسبب داخلي أم خارجي، نفسي أم حكمي، وهي بمثابة تكليف شرعي، وهي ترتقي لمستوى الواجب المشروع، ولا يجب لأي مسلم ومؤمن التغاضي وغض الطرف عنه، ومن هذا المنطق أعطى المؤمن الحق لنفسه لمجابهة أهواء النفس ووقفها عن الوصول إلى مزيد من التعدي والانحراف عن قلب الشريعة وجوهرها، فمن يبتعد بتصرفاته عن الأهداف التي أقرتها الشريعة الإسلامية، ويجب وقفه عن تلك الممارسات حتى لو وصل الأمر لاستعمال القوة، فعندما قام عمر بن الخطاب بالصعود على المنبر متسائلاً عن ردود الفعل لو انصرف الناس عما يعرف إلى ما ينكرون، قام عليه الإمام علي (عليه السلام) وقال بكل وضوح: "إذن لقومناك بسيوفنا" (الخوارزمي، 1411هـ صفحة 98)، فالإمام يعزو حقيقة انتشار الظلم والجور وتفشي الأمور التي تناقض روح الإسلام إلى عدم التزام أفراد المجتمع الإسلامي بفريضة الأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، ولذا كان عند وجوده على فراش الشهادة أوصى أهله وأفراد الأمة الإسلامية جمعاء بقوله: "لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولى عليكم شراركم، ثم تُدعون فلا يُستجابُ لكم" (الموسوي ا.، 2004م، صفحة 77)، وبذلك نلاحظ الاهتمام الذي أولاه الإمام (عليه السلام) لهذا الموضوع، فهو يحث الأمة عليه وينذرهم بالعقاب الشديد إذا ما ابتعدوا عنه لدلالته الخاصة بتشكيل روح إسلامية صحيحة المعالم، وكان العلامة الطباطبائي قد شكل قوى النفس على ثلاثة أجناس، وأنّ عملية الخلق الإنساني وترتيبه تؤدي في مجملها إلى ثلاثة أنواع من القوى الفاعلة، وهذه الأنواع هي القوى العقلية والغضبية والشهوية، كما قيل عنها إنّ: "الأخلاق الانسانية تنتهي إلى قوى عامة ثلاثة فيه هي الباعثة للنفس على اتخاذ العلوم العملية التي تستند وتنتهي

 ISSN (Print):2518-9182 ISSN (Online) 2708-1761

إليها أفعال النوع وتهيئتها وتعبيتها عنده، وهي القوى الثلاث: الشهوية والغضبية والنطقيـــة الفكريـــة" (الطباطبائي، 2006م، صفحة 371).

الخاتمة:

لقد اتضح من خلال البحث نقاط عدة، وهي:

أولاً: إنّ الغاية من المعرفة في نظر القرآن الكريم هو الاصلاح الموجب لاستقامة الإنسان الفكري والسلوكي ومعالجتهما بما يحقّق له أهدفه في الكمال الذي خلق لأجله؛ لكي يعيش حياته الطيبة والكريمة، ومن هنا كان للتربية الاجتماعية حظ في شؤون الاصلاح الاجتماعي.

ثانياً: إنّ المعرفة التي اهتم بها القرآن الكريم في علمية الاصلاح ومعالجة السلوك الإنساني تعتمد على أساليب عدة في تبيين الحقائق، لأنّها تتبع نفس المنهج في تفسير آيات الذكر الحكيم، لكونه تبييناً لحقائق القرآن، ومنبعًا من منابع حقائقه ودلالته، إذ المعرفة القرآنية منها ما يكون فطرياً، ومنها ما يكون ظاهرياً وعقلياً وشهودياً قلبياً.

ثالثاً: إن من آثار المعرفة الظاهرية للقرآن في معالجة السلوك الإنساني واستقامته، ما يكون عن طريق الإيمان بالله وخشيته، والاقتداء بسيرة الأنبياء(عليهم السلام) والصالحين من أولياء الله تعالى، والعزم على فعل الخير، وشهادة الأنبياء والرسل يوم الحساب، بينما يكون أثر المعرفة العقلية قائمًا على أساس تأصيل الاعتقادات في نفس الإنسان بالأدلة والبراهين المنطقية بما يوجب معالجة الانحراف الفكري والسلوكي للإنسان، وأما المعرفة القلبية للقرآن الحاصلة بسبب التعمق والتبحر في معاني القرآن في درك حقائقه ومشاهدتها بعين البصيرة والقلب، كي يتمكن من التمييز بين مفاهيمها المتداخلة، فيتبع أحسنها وأدقها وأدلها على الحقيقية القرآنية، بما يهذب النفس من كدوراتها، ويشرق ظلمتها، من ثم التأثير على سلوكيات الفرد واستقامتها.

ومن جميع ذلك يتبين أن للفطرة السليمة دور كبير في معالجة السلوك الإنساني واستقامته، بشتى الطرق المعرفية التي دعا اليها القرآن الكريم، وبدونها لا تتمكن هذ الطرق والاساليب تأدية دورها في معالجة السلوك الإنساني واستقامته.

ISSN (Print):2518-9182 ISSN (Online) 2708-1761

المراجع

القرآن الكريم

احمد ابن فارس. (1404هـ). معجم *مقاييس اللغة* (المجلد الطبعة الجديدة). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

احمد بن عبد الرحمن ابن قدامة. (1978م). *مختصر منهج القاصدين* (المجلد الاولى). دمشق: مكتبة دار البيان.

الحسين بن محمد الاصفهاني. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن* (المجلد الاولى). بيروت: دار القلم.

الخليل بن احمد الفراهيدي. (1405هـ). *العين* (المجلد الاولى). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الشريف ابو الحسن الرضي الموسوي. (2004م). *شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام* (المجلد الاولى). بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

الموفق بن احمد الخوارزمي. (1411هـ). *المناقب* (المجلد الثانية). قم المقدسة: مؤسسة النشر الاسلامية.

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. (1403هـ). *الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية* (المجلد الاولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

حمد السيد حسين ينظر:الذهبي. (1398هـ). *التفسير والمفسيرين* (المجلد الاولى). القاهرة: مكتبة وهبة .

صدر الدين المتألهين محمدبن ابراهيم الشيرازي. (1987م). *الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة* (المجلد الثالثة). بيروت: دار احياء التراث العربي.

علي الحسيني ينظر:الخامنئي. (2021). *كلمة في لقاء ممثلي الهيئات الطالبية الجامعية.*

علي بن ابراهيم ينظر:القمي. (1404هـ). *تفسير القرآن* (المجلد الثالثة). قم المقدسة: مؤسسة دار الكتاب.

علي بن احمد ينظر:الواحدي. (1992م). *اسباب النزول* (المجلد الثانية). الدمام: دار الاصلاح.

علي بن محمد الجرجاني. (ب.تا). معجم *التعريفات* (المجلد الاولى). القاهرة: دار الفضيلة.

فهد بن عبد الرحمن الرومي. (2003). *دراسات في علوم القرآن* (المجلد الثاني عشر). القاهرة: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

محسن ينظر:الفيض الكاشاني. (1416هـ). *الصافي في تفسير القرآن* (المجلد الثانية). طهران: مكتبة الصدر.

محمد بن ابي بكر الرازي. (1420هـ). *مختار الصحاح* (المجلد الخامسة). بيروت: المكتبة العصرية ،الدار النموذجية.

محمد بن احمد الأزهري. (2001). *تهذيب اللغة* (المجلد الاولى). بيروت: دار احياء التراث العربي.

محمد بن اسماعيل الصنعاني. (1417هـ). *توضيح الافكار لمعاني تنقيح الانظار* (المجلد الاولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن جرير الطبري. (1422هـ). *جامع البيان* (المجلد الاولى). القاهرة: دار هجر.مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية

محمد بن عبد الله دراز. (2005). *النبأ العظيم نظرات جديدة في القر* (المجلد الرابعة). دمشق: دار القلم للنشر والتوزيع.

محمد بن علي التهانوي. (1996م). *كشاف اصطلاح الفنون والعلوم* (المجلد الاولى). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

محمد بن محمد الغزالي. (1993م). *المستصفى* (المجلد الاولى). بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن مكرم ينظر: ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب* (المجلد الثالثة). بيروت: دار صادر.

محمد حسين الطباطبائي. (2006م). *الميزان في تفسير القرآن* (المجلد الاولى). بيروت: دار احياء التراث العربي.

محمد صالح المازندراني. (1421هـ). *شرح اصول الكافي* (المجلد الاولى). بيروت: دار احياء التراث العربي.

محمد عبد العظيم الزرقاني. (ب.تا). *مناهل العرفان في علوم القرآن* (المجلد الثالثة). مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

محمد عثمان نجاتي. (2001م). *القرآن وعلم النفس* (المجلد الاولى). القاهرة: دار الشروق.

محمد مهدي التراقي. (1795م). *جامع السعادات* (المجلد الاولى). النجف الاشرف: دار النعمان للطباعة والنشر.

مصطفى الموسوي. (1975م). *الروائع المختاره من خطب الحسن عليه السلام* (المجلد الاولى). القاهرة: مطبوعات النجاح.

مناع بن خليل ينظر:القطان. (1420هـ). *مباحث في علوم القرآن* (المجلد الثالثة). بيروت: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

هادي قبيسي. (2009م). *دور جهاد التبيين في اعادة تشكيل المجتمع* (المجلد الاولى). بيروت: معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية.